



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : الشروق

عنوان الموضوع : أبعاد «أمننة» الوجود الصيني في القرن الإفريقي

تاريخ النشر : 25/07/2022

اسم الكاتب : مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

الموضوع :

نشر مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة مقالا بتاريخ 18 يوليو للكاتب حمدي عبدالرحمن، تناول فيه الوجود الصيني في القرن الإفريقي من منظور جيوسراتيجي.. نعرض من المقال ما يلي من الواضح أن القول بنهاية التاريخ وانتصار قيم الليبرالية الغربية كان بمنزلة ادعاء خاطئ، حيث بدأ النظام الدولي يعود مرة أخرى إلى صراع محموم يشبه حالة الحرب الباردة. وتُعتبر كل من الحرب الأوكرانية والحرب الأهلية الإثيوبية عن طبيعة الصراع المعاصر بين القوى العظمى التي انتهت بها المطاف إلى حد الصدام العسكري. لقد تم تحدى النظام أحادى القطبية الذي قاده الولايات المتحدة على مدى ثلاثة عقود من قبل القوى الصاعدة الجديدة - الصين على المستوى العالمي وروسيا في أوروبا الشرقية. وتشكل عودة النظام الدولي ثنائي القطبية أو متعدد الأقطاب الذي ينطوي على توترات شبيهة بفترة الحرب الباردة، مثل حالات الحروب بالوكالة في مناطق مختلفة من العالم، بما في ذلك القرن الإفريقي، مصدر انشغالات أمنية عالمية بالغة. وفي هذا السياق أصبحت منطقة القرن الإفريقي ذات أهمية متزايدة بالنسبة لاستراتيجيات القوى العظمى والصاعدة في النظام الدولي وعلى رأسها بطبيعة الحال الصين. فبالنسبة لسياسة الصين العالمية كما هي الحال بالنسبة للولايات المتحدة والدول الأوروبية وروسيا يتطلب موقع القرن الإفريقي الحيوي منع وجود مراكز القوى والتحالفات المعادية التي يتم تشكيلها ضد الصين في المستقبل. أما بالنسبة للمصالح الاقتصادية المتعددة، فقد ظلت عاملا محددًا للسياسة الخارجية الصينية وإن بقي الهدف الاستراتيجي الرئيسي، متمثلاً في احتواء نفوذ القوى المهيمنة أو الراجعة في الهيمنة بما في ذلك روسيا. وعليه فإن هدف حماية مصالح الدولة الوطنية، كما هي الحال بالنسبة للقوى الغربية، يعد المحدد الرئيسي لسياسة الصين الخارجية في منطقة القرن الإفريقي. ••• يبدو أن دوافع «أمننة» الوجود الصيني في القرن الإفريقي ذات شقين، اقتصادي وسياسي، وإن كان ثمة تداخل بينهما. بالنسبة للصين، يعد الوصول إلى الموارد الطبيعية الغنية - النفط والغاز والمعادن الطبيعية النادرة - أولوية استراتيجية تتعكس في قروض مبادرة الحزام والطريق التي تبلغ قيمتها تريليون دولار لإفريقيا. في النهاية، تسعى الصين إلى تغيير علاقات القوة العالمية وتقويض الهيمنة الأمريكية العالمية. ولعل ذلك الأمر يجعل القرن الإفريقي إحدى أهم المناطق في إفريقيا فيما يتعلق بالمناورات العسكرية الصينية تجاه قضايا الجغرافيا السياسية الإقليمية والقطبية العالمية. ويعد أبرز محددات أهمية الوجود الأمني الصيني في منطقة القرن الإفريقي على النحو التالي: 1- الأهمية الاستراتيجية لخطوط التجارة: يقع القرن الإفريقي على طول طريق تجاري بحري مهم يربط بين أوروبا وآسيا عن طريق قناة السويس. ولا يخفى أن هذه الجغرافيا الاقتصادية تؤثر بشكل كبير على مصالح الصين؛ إذ يمكن موقع الصومال من الوصول إلى مضيق باب المندب الذي يكتسب أهمية تجارية بالغة نظراً لمرور نحو 12% من حجم التجارة العالمية من خلاله. كما يتدفق عبره أكثر من 4.8 مليون برميل من النفط الخام والمنتجات البترولية المكررة كل يوم، وغيرها من الإمدادات الحيوية الأخرى. 2- الهشاشة الاستراتيجية لدول المنطقة: بعد أن شهدت صراعات كبرى بما في ذلك انهيار الحكومة المركزية في الصومال وأزمة القرصنة قبالة سواحل خليج عدن، وكذلك الصراع المسلح في دارفور والحرب الأهلية في جنوب السودان، وأزمات سياسية مع بؤر توتر عرقي في إثيوبيا؛ علاوة على سنوات طويلة من التمرد المسلحة في شمال أوغندا، وقضايا الإرهاب، والعنف السياسي في المنطقة. وقد شكل ذلك معضلة حقيقية أمام صانع القرار السياسي الصيني نتيجة الصدام بين مبدأ «عدم التدخل» في السياسة الصينية ومتطلبات حماية مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة. 3- ارتباط القرن الإفريقي بمنطقة الخليج العربي: اتضح ذلك بجلاء في حالة أزمة الخليج في يونيو 2017 عندما سحبت قطر ما يقرب من 200 جندي متمركزين في منطقة دميرة المتنازع عليها بين إريتريا وجيبوتي. في أعقاب هذا المأزق، عرضت الصين إرسال قوات بديلة إلى المنطقة الحدودية المتنازع عليها. ••• تنتج الصين بشكل تدريجي إلى المنظمات الإقليمية الإفريقية للتعاون في القضايا الأمنية. على سبيل المثال، في خطة العمل بين الصين وإفريقيا، تأمل بكين في دعم إفريقيا في مجالات اللوجستيات لمواصلتها مشاركتها النشطة في عمليات حفظ السلام وعمليات إزالة الألغام وتقديم المساعدة المالية والمادية، بالإضافة إلى التدريب ذي الصلة بعمليات مجلس السلام والأمن التابع للاتحاد الإفريقي. إن المشاركة الصينية في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة في إفريقيا، خاصة في القرن الإفريقي، هي تحرك واضح بعيداً عن الحذر التاريخي وأحياناً العداء الصريح تجاه مؤسسة بعثات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة. ومن الواضح أن حماس الصين بشأن عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، خاصة في إفريقيا، يماشى مع استراتيجيتها الأخيرة في السياسة الخارجية لدعم الحلول متعددة الأطراف بدلاً من الإجراءات أحادية الجانب لمواجهة التهديدات الاستراتيجية. ••• من الملفت للانتباه أن الصين قد تخلت عن نهج «سياسة عدم التدخل» الذي كان من ثوابت استراتيجيتها الإفريقية وذلك لصالح تبني «سياسة السلام والتنمية» وتنفيذ ذلك بشكل مغاير لرؤية كل من الولايات المتحدة وحلفائها الخاصة بمنطقة القرن الإفريقي. ويمكن تحديد أبرز شكلين لنهج التدخل الإقليمي الجديد في قضايا الأمن والتنمية الخاصة بمنطقة القرن الإفريقي على النحو التالي: 1- التحركات الدبلوماسية: في أعقاب قيام الولايات المتحدة بتعيين مبعوثها الخاص، جيفري فيلتمان إلى القرن الإفريقي، اتخذت الصين أيضاً إجراء مماثلاً، حيث أعلنت في يناير 2022 تعيين شيوه بينج مبعوثاً خاصاً لها إلى المنطقة لأول مرة. ويهدف المبعوث الخاص إلى إقامة علاقة عمل مع الأطراف المعنية والحفاظ على الاتصال والتنسيق الوثيقين بشأن دفع تنفيذ آفاق السلام والتنمية في القرن الإفريقي. يوضح هذا الإجراء الصيني الأول من نوعه في إفريقيا رغبة بكين في احتواء النفوذ الأمريكي في كل مناطق العالم بما في ذلك القرن الإفريقي. من الواضح أن رؤية الصين الجديدة لقضايا السلام والتنمية في منطقة القرن الإفريقي تتضمن محددات استراتيجية سياسية واقتصادية وعسكرية واسعة النطاق تشكل في مجملها تحدياً كبيراً لمصالح الولايات المتحدة في المنطقة ويمكن الإشارة إلى ثلاثة تأثيرات محتملة لهذه السياسة الصينية. ربما تسعى الصين إلى توظيف أي نجاحات دبلوماسية ناتجة عن وساطة وجهود مبعوثها من أجل استخدامها لتوسيع وتمدد نفوذها في المنطقة وما وراءها. من جهة ثانية يمكن أن ترحب المنطقة بشكل خاص بالمشاركة الصينية، لاسيما تلك التي تتخذ شكل الدعم الإنساني أو الاقتصادي المتزايد. على أنه من جهة ثالثة قد تستخدم قوى المعارضة الوطنية خطاباً مناهضاً للصين بهدف حشد الدعم الشعبي، لاسيما في حالة احتدام الجدل العام حول طبيعة ودور الصين في المنطقة. 2- التعاون الجماعي: والذي تجسد مؤخراً في انعقاد المؤتمر الأول بين الصين والقرن الإفريقي للسلام والحكم الرشيد والتنمية في أنيس أبابا خلال الفترة من 20 إلى 21 يونيو 2022. وفقاً لوزارة الشؤون الخارجية الإثيوبية، فإن المشاركين في المؤتمر «اتفقوا على الحل السلمي للمشاكل الإقليمية، والتصدى المشترك للكوارث الطبيعية، ودعم نهج منسق لمكافحة الأمن السببراني، والإرهاب، والأسلحة غير المشروعة، والاتجار بالبشر، من بين أمور أخرى». وقد دعت الصين إلى عقد المؤتمر من خلال مكتب المبعوث الخاص للقرن الإفريقي - شيوه بينج - وحضره مسؤولون حكوميون رفيعو المستوى من إثيوبيا، وجيبوتي، وكينيا، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وأوغندا. أشار المبعوث الصيني في خطابه إلى «قضايا العرق والدين والحدود المعقدة والمتشابكة» في المنطقة باعتبارها الأسباب الكامنة وراء الصراعات. وعلى الرغم من توكيده على صعوبة التعامل معها، حيث يعود العديد منها إلى الحقبة الاستعمارية، فإنه استخدم الرواية الصينية، تماماً مثل روسيا، بحسبان أن الصين ليس لها تاريخ استعماري في إفريقيا على عكس العديد من الدول الأوروبية. بيد أن الدلالة المهمة لعقد هذا المؤتمر الأول الخاص بالقرن الإفريقي في إثيوبيا تشير إلى أهميتها البالغة بالنسبة للاستراتيجية الصينية في المنطقة؛ إذ تعد إثيوبيا نقطة ارتكاز مهمة لمبادرة الحزام والطريق الصينية، حيث يوجد حالياً حوالي 400 مشروع بناء وتصنيع صيني في إثيوبيا، تقدر قيمتها بأكثر من 4 مليارات دولار. ••• باختصار، يتضح وجود تغيير وتبدل مهم في أدوار القوى الدولية في القرن الإفريقي، فبينما يتراجع النفوذ الأمريكي الذي يشغل باله مواجهة مع روسيا في أوكرانيا، تقوم الصين بتمديد نفوذها وممارسة دور أمني في المنطقة. طبقاً للمبعوث الصيني الخاص إلى القرن الإفريقي، فإن بكين تريد أن تقوم بدور أكبر، «ليس فقط في التجارة والاستثمارات ولكن أيضاً في مجال السلام والتنمية والأمن». .. يعكس ذلك تحولاً واضحاً في الاستراتيجية الصينية التي كانت تركز على استغلال الفرص التجارية في إثيوبيا وجيبوتي وغيرهما من دول المنطقة. ومن المرجح أن تنتقل الصين قريباً إلى مرحلة جديدة تستخدم فيها جيشها تحت ستار العمليات الأمنية أو الشراكات من أجل التأثير * على الحكومات وفقاً لمصالحها على طول سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي من السودان إلى كينيا.* لينك المقال في الشروق